الفنون الجميلة والبناء

عند قدماء المصريين

﴿الدولة الحديثة﴾ ويبدأ تاريخها من سنة ١٥٨٠ وينتهي سنة ١١٥٠ قبل الميلاد

كانت نتيجة استقلال ثروة بلاد النوبة وسورية وتسخير اسرى تلك البلدان ان ارتقى فن البناء المصري في طيبة (الاقصر) كثيراً وكان لهُ اثر كبير في فن البناء بوجه عام. وقد شجع امنحتب الثالث هذا الفن كثيراً فوضع تحت تصرف مهندسيهِ البنائين كل ما احتاجوا اليهِ لترقية فنهم وابلاغهِ أقصى حدٍّ من الاتقان. وظهر بين هؤلاء المهندسين افراد نوابغ نخص بالذكر منهم رجلاً يدعى امنحتب ذاعت شهرتهُ حتى صار مضرباً للامثال بعد وفاتهِ بالف ومايتي سنة ثم أُعتبر الهاً في عهد البطالسة حيث عرف باسم « امنحتب ابن حابو ». وقد انجبت ايدي هؤلاء المهندسين المهرة ذوقاً جديداً او تفاصيل كانت مجهولة مما رقّى فن البناء المصري القديم. ولما كان المهندس البنّاء حائراً وقتئذٍ على كل ما يحتاج اليهِ من مواد البناء والثروة تمكن القوم من تشييد المباني الضخمة التي تبهر العقول لضخامة بنائها

اما معابد ذلك الوقت فكانت على نوعين كبير وصغير وليس لهذا التقسيم دلالة على اتقان البناء او عدمهِ فقد كانت المعابد الصغيرة غاية في البداعة والجمال وهي مكوّنة من قاعة مستطيلة تشبه قدس الاقداس تنتهي من طرفيها بباب يحيط بها رواق. وارض المعبد مرتفعة عن سطح الارض بما يقرب من نصف ارتفاع المعبد وعلى جانبي الباب عمودان رشيقان ويحيط بالمعبد من الخارج عمد بديعة من كل الجهات. وتعتبر هذه المعابد اصل المعابد اليونانية القديمة التي تحيط بها الاعمدة وعليهِ فن البناء اليوناني يرجع في كثير من تفاصيلهِ الى فن البناء المصري القديم

اما المعابد الكبيرة فتختلف كثيراً عن الصغيرة من حيث وضع اعمدتها من الداخل بدل الخارج واحاطة قدس الاقداس بحجرات كثيرة كما في العهد السابق وانشاء قاعة كبيرة امام قدس الاقداس ذات عمد شامخة (شكل ١) وانشاء صحن كبير امام ذلك يحيط بهِ رواق معمّد وامام الصحن صرح كبير يعلوهُ افريز محزّف. وبين جزئي هذا الصرح باب كبير يتصل بخارج المعبد. وجرت العادة ان تحلّى جدران المعابد برسوم تمثل

رسم الملك رعمسيس العاشر من أحد جدران قبره
بالاقصر

معبد اسنا بُني في العصر اليوناني البطالسي
بتطف اغسطس ١٩٢٦
امام الصفحة ١٨٢

الملوك يحاربون اعداءهم اما داخل المعبد فيجلي برسوم الملوك وهم يعبدون المعبودات . وكثيراً ما كان القوم ينصبون مسلتين كبيرتين على جانبي المدخل الخارجي وتمثالين ضخمين للملك كلٌّ منهما من حجر واحد. ويرجع الفخر الى مهندسي هذا العصر في انشاء صحن المعبد نتيجة رفع سقف المحور عن جانبيه . ويشاهد هذا النوع من البناء في المحاكم والكنائس الكبيرة في عهدنا هذا (شكل ٢)

اما المثالون (صانعو التماثيل) فبذلوا جهداً عظيماً في اتقان صغائر الامور حتى امتازت اعمالهم بالبراعة والدقة وحسن التصرف مما كان ينقص ابدع التماثيل في العصور السالفة لكنها على العموم اقلُّ مطابقة للحقيقة . وفي متحف برلين لوحة اثرية عليها رسوم تمثل جنازة احد كهنة منف تُرى فيها مظاهر الحياة المتباينة وملامح الوجوه المتنوعة باجلى بيان (شكل ٣)

ولما جاء عهد اخناطون اخذت الفنون الجميلة تبلغ اوج الكمال بمطابقتها كثيراً للواقع خلافاً لما كان متبعاً سابقاً . لذلك اصبح الانسان يرى الحيوانات مرسومة بحالتها الطبيعية فالكلب عادٍ والطير محلقة والثور الوحشي راتع مما كان يتماشى مع عقيدة اخناطون في اتباع الحقائق . وقد رُسم هذا الملك على الآثار رسماً خالياً من التكلف الفرعوني القديم حتى اصبح يخيل الى الناظر لاول وهلة انهُ امام رسم من العصر اليوناني

﴿ العصر الصاوي ﴾ اشتهر هذا العصر برجعيته الى احوال البلاد الاولى لكن يلاحظ ان الفنون الجميلة كانت من اصعب الامور رجوعاً الى الذوق القديم لذلك كانت دائماً مخالفة لاحوال المعيشة وتتأثر . والسبب في ذلك ان الفنون الجميلة ارتقت كثيراً في العهد الاثيوبي رغم انحطاط الادارة وانتشار الفوضى في البلاد . لذلك كان الذوق السليم متيقظاً لكل تغيير يعتري تلك الفنون . ومعروف ان العهد الصاوي (ويقال لهُ ايضاً عهد الاصلاح) صحبهُ تجديد في رسوم المقابر القديمة وما كتب فيها لكن رسوم العهد الصاوي تحوي بعض الحرية في جزئياتها اكثر من رسوم عهد المملكة القديمة . مثال ذلك التماريح والانحناءات البديعة . وعليهِ فرغماً من كثرة رسوم الاشخاص في العهد الصاوي باحوال العهد القديم وهيئة معالمهِ فاننا نجد بين حين وآخر حفّارين ومثالين تنصلوا من القيود العتيقة فرسموا الاشخاص متناسبي الاكتاف وقريبين من حالتهم الطبيعية . وهذه الحرية في الرسم والكفاءة في اظهار تناسب اجزاء الجسم جعلت لرسوم العهد الصاوي منزلة اعلى كثيراً من رسوم العهد القديم . ولم يقتصر هذا التقدم في الحفر على

رسم المسطحات بل شمل ايضاً التماثيل فاصبح الناقد يشاهد فيها مهارة الفنّان في اظهار رسم الوجه و بروز عظامه وتجاعيد بشرته بشكل تشريحي دقيق لم يشاهد في تماثيل اي عصر من العصور السابقة مما تجدر مقارنتهُ بامثالهِ في العهد اليوناني . وقد كثرت صناعة البرنز كثيراً وقتئذٍ حتى ان معظم الآثار المصرية المصنوعة من هذا المعدن المحفوظة في المتاحف الآن يرجع تاريخها الى هذا العهد . ومن دواعي الاسف انهُ لم يبق لنا من مباني تلك العصور شيء يذكر لكن يستنتج من رسوم الحفّار الصاوي ان فنّ البناء تقدم كثيراً وقتئذٍ وان خسارتنا لهُ لا تعوّض اذ من المحتمل جدًّا ان اصل انشاء العمد في عهد البطالسة يرجع الى العهد الصاوي

﴿ العصر اليوناني ﴾ اخذت الفنون الجميلة في هذا العهد شكلاً خاصًّا اصطلاحيًّا فاصبحت الرسوم البارزة التي كانت موضع العناية العظمى في العهد الصاوي تتخذ نموذجًا واسلوبًا غير واضح المعنى مما صبغ رسوم عهد البطالسة بشيء من عدم الدقة و بغلظة في الهيئة الى درجة يخيّل الى الناظر فيها ان حفائر تلك العصور صنعت بآلات ميكانيكية وليس بايدٍ آدمية . وفي القسم الاول من العهد اليوناني امّحت معالم العهد القديم من الرسوم والتماثيل ومالت نفوس القوم الى اساليب الدولة الحديثة و بالاخص عهد رمسيس الثاني (شكل ٤) و بلغ هذا التقليد الرجعي اقصاهُ في عهد بطليموس السابع حتى كتب احد الحفارين اسم رمسيس الثاني خطأً فوق رأس بطليموس السابع المذكور . واستمرت هذه الحركة الرجعية في الفنون الجميلة لقوى حتى عهد بطليموس الثالث عشر الذي رسم نفسهُ فاتكاً باعدائهِ قابضاً على شعورهم كما فعل تحوتمس الثالث ورمسيس الثاني قبلهُ

﴿ العصر الروماني ﴾ لما تولى القيصر الروماني (هيدريانوس) الملك (وكان حكمهُ من سنة ١١٧ — ١٣٨ بعد الميلاد) زار القطر المصري فاحيى فيهِ الفنون الجميلة تحت اشراف اليونان بعد ما كانت سائرة نحو التضعضع والانحطاط . ويلاحظ هذا التقدم خصوصاً في النقود التي اخذت شكلها اليوناني القديم . وعثر في جهة الفيوم على كثير من المومياات الرومانية فوقها عدة صور مصنوعة من الخشب والجبس تمثل الميت في حياتهِ في غاية الاتقان لكنها مصبوغة بالصبغة اليونانية . ولا غرابة في ذلك فقد كان (هيدريانوس) كثير الشغف بالشرق والآراء اليونانية

الدكتور حسن كمال

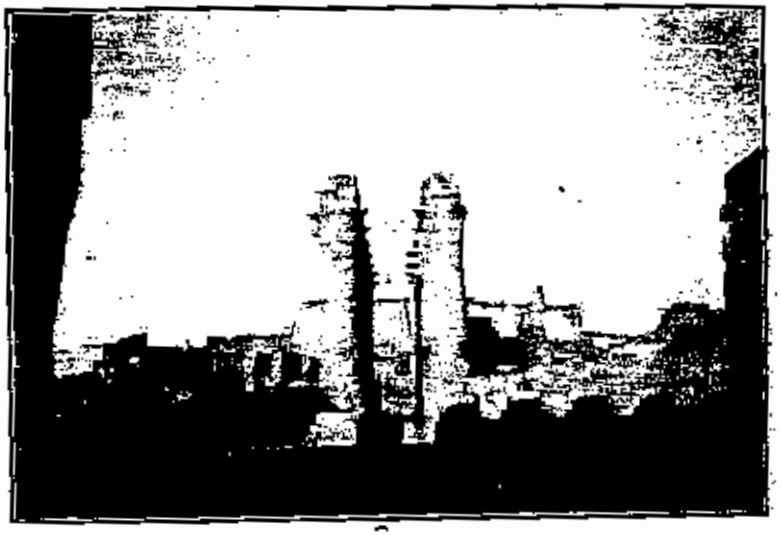

الصالة ذات الاربعة عشر عموداً شادها الملك حورمحب مؤسس الاسرة
التاسعة عشرة بمعبد الاقصر

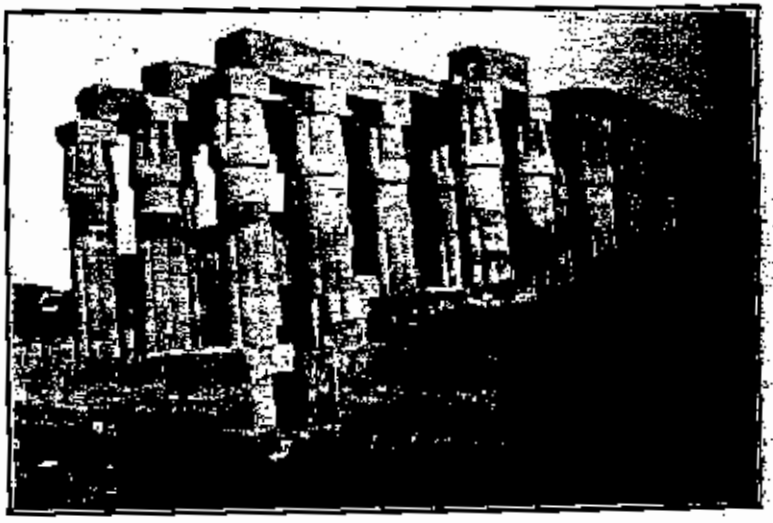

معبد الاقصر شادهُ امنحتب الثالث من ملوك الدولة الحديثة وتحسب
اعمدتهُ من ابدع ما صنعهُ البناؤن المصريون الاقدمون
مقتطف اغسطس ١٩٢٦
امام الصفحة ١٨٤